مِزَاجُ التَسْنِيم وَأفوَاجُ النَّسِيم

في حِكَمِ لُقمَانُ الحَكِيم

تأليف

الحبيب علي بن حسن العطاس

نفعنا الله به وبعلومه

في الدارين آمين

اعتنى به حفيده

أحمد بن عمر بن طالب العطاس

مزاج التسنيم في حكم لقمان الحكيم

بسم الله الرحمن الرحيم ، التواب الكريم، اللطيف الحليم ، العزيز الحكيم ، وصلى الله أزكى الصلوات وأشرف التسليم ، على سيدنا محمد المخصوص بالخلق العظيم ، المبعوث ناسخا للعادات ، ومتمما لمكارم الأخلاق والعبادات ، ومتصديا للتعليم ، صلى الله عليه وعلى آله المخصوصين بالتكريم ، وصحبه المشبهين بالنجوم التي تجلو ظلم الليل البهيم ، وتابعيه بإحسان إلى يوم لاينجو فيه إلا من أتى الله بقلب سليم .

وبعد : فهذا تعليق لطيف جسيم تحيف ، جمعت فيه مابلغني من حكم لقمان الحكيم ، وذلك من غير تبويب ولاتقسيم ، وسميته (**مزاج التسنيم وأفواج النسيم بالنعيم في حكم لقمان الحكيم**) ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم .

فصل : في ذكر فضيلة لقمان عليه السلام : اعلم أنه يكفيه من الفضل ما قص الله الكريم عنه من الحكم في كتابه العظيم مما سيأتي بعضه قريبا إن شاء الله . وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم : إتخذوا السودان فإن فيهم ثلاثة : لقمان الحكيم ، والنجاشي ، وبلال المؤذن . رواه ابن حبان والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما .

قلت ومعنى قوله : اتخذوهم له معان منها : إنه اشتهر منهم العلم والصلاح والنطق بالحكمة ؛ فاتخذوهم إخوانا وجلساء ونصحاء ومعلمين وأساتذة ، لأنه كان منهم هؤلاء . وقد اشتهر من موالي الصحابة والتابعين جماعات ، فمن الصحابة سلمان الفارسي وبلال وزيد وصهيب وسفينة وغيرهم ، ومن التابعين : الحسن البصري وابن سيرين وابن المبارك وابن

أدهم وياقوت العرشي تلميذ ابن عباس وغيرهم ، فمعناه لاتتكبروا أن تأخذوا العلم والحكمة عنهم ، وله معان أخرى ظاهرة ولانطول بذكرها لأنها واضحة .

وأما أصل لقمان ونسبه عليه السلام وذكر مبتدأ أمره فقيل هو : لقمان بن باعوراء بن ناحور بن تارج ، وهو آزر أبو إبراهيم عليه السلام أوعمه ، وقال السهيلي : هو ابن عنقاء بن سرون من أهل إيلة . قال وهب : إنه ابن أخت أيوب عليه السلام . وقال مقاتل : ذكر أنه كان ابن خالة أيوب عليه السلام .

قال الواقدي : كان لقمان قاضيا في بني إسرائيل ، واتفق العلماء على أنه كان حكيما ولم يكن نبيا إلا عكرمة فإنه قال : كان لقمان نبيا ، وتفرد بهذا القول ، وقال بعضهم : خير لقمان بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة .

وروي أنه كان نائما نصف النهار فنودي : يالقمان هل لك في أن يجعلك الله خليفة في الأرض فتحكم بين الناس ؟ فأجاب الصوت فقال : إن خيرني ربي قبلت العافية ولم أقبل البلاء ، وإن عزم علي فسمعا وطاعة ، فإني أعلم أنه إن فعل بي ذلك عصمني وأعانني ، فقالت الملائكة بصوت يسمعهم ولا يراهم : لم يالقمان ؟ قال : لأن الحاكم بأشد المنازل وأكدرها ؛ يغشاه الظلم من كل مكان ، إن يعن فالحري أن ينجو ، وإن أخطأ أخطاه طريق الجنة ، ومن يكن في الدنيا ذليلا خيرا من أن يكون عزيزا شريفا ، ومن تخير الدنيا على الآخرة تفته الدنيا ولايصيب الآخرة ، فعجب الملائكة من حسن منطقه ، فنام فأعطي الحكمة وهو يتكلم بها .

ثم نودي بعده داود عليه السلام فقبلها ولم يشترط بما شرط به لقمان فهو في الخطيئة غير مرة ، كل ذلك يعفو الله عنه ، وكان لقمان يوازر داود بحكمه . وقال خالد الربجي : كان لقمان عبدا حبشيا نجارا . وقال سعيد ابن المسيب : كان خياطا . وروي أنه كان يرعى غنما فلقيه رجل وهو يتكلم بالحكمة فقال له : ألست فلان الراعي ؛ فبما بلغت مابلغت ؟ قال : بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وترك ما لايعنيني ، والوفاء بالعهد . وقال مجاهد : كان لقمان عبدا أسود عظيم الشفتين مشقق القدمين .

وفي بعض الكتب المعتمدة : نزل جبريل على لقمان عليه السلام وخيره بين الحكمة والنبوة فاختار الحكمة ؛ فمسح بجناحه على صدره فنطق بالحكمة ، فلما ودعه قال : أوصيك بوصية فاحفظها يالقمان : لأن تدخل يدك في فم التنين خير لك من أن تسأل فقيرا قد استغنى .

قلت : وهذا مشاهد كثيرا ، فإن الغالب فيمن كان كذلك أن يكون حريصا على المال شحيحا به ، يؤثره على ما توجبه المروءة والنخوة من البذل والعطاء ، كما أن الغالب فيمن كان غنيا ثم افتقر أن يكون سمحا بالمال ؛ ذا عزة ونخوة وهمة ، يؤثره على نفسه من علم منه الحاجة ، وذلك لبقاء أثر كل من الحالين في نفس صاحبه زمنا طويلا لإعتياده إياه .

وأما اسم لقمان ونسبه فهو : لقمان بن عنقاء بن سرور ، وهو نبي من أهل الآية ، عاش ألف سنة ،وأدرك داود عليه السلام وأخذ عنه العلم ، وكان لقمان يفتي قبل أن يبعث داود ، فلما بعث قطع الفتوى ، فقيل له في ذلك ؟ فقال : ألا أكتفي إذا كفيت !!

وكان لقمان عليه السلام كثير الفكر حسن اليقين ، أحب الله فأحبه الله . انتهى .

قال أبو الدرداء : رحم الله لقمان ؛ أما أنه ما أوتي ما أوتيه عن أهل ولامال ولا جمال ولا حسب ولانسب بل كان عبدا حبشيا ؛ مولى لداود عليه السلام أعتقه ، وكان رجلا سكيتا طويل الصمت مليح السمت عميق النظر بعيد الفكر ، لم ينم نهارا قط ، ولم يره أحد يبول ولا يبزق ولا يتنخع (يعني يتنخم) ومات له أولاد فلم يحزن عليهم .

وكان يأتي أبواب الحكماء ليتفكر وينظر ويعتبر ، فلذلك أوتي ما أوتي من الحكمة .

﴿ حكمة لقمان ﴾

الحكمة في الأصل مصدر من الأحكام وهو الإتقان في علم أوعمل أو قول أو فيها جميعا ، وقد ذكرت في القرءان في آيات كثيرة ، وفسرت في كل آية مايناسب موردها وسياقها ، وبلغت جملة الأقوال فيها كما ذكره العلامة الألوسي في تفسيره تسعة وعشرين قولا ، وقال إن بعضها قريب من بعض ، وأن بعضهم عد الأكثر منها اصطلاحا أواقتصارا على ما رآه القائم مهما من الحكمة .

والمعنى المناسب في تفسيرها في قوله تعالى في سورة لقمان ﴿ **ولقد آتينا لقمان الحكمة** ﴾ أنها وضع الأشياء في مواضعها ، أو الإصابة في في القول والعمل ، أو إتقان الشيء علما وعملا ، أوالعقل والفهم والفطنة ، أو معرفة الموجودات وفعل الخيرات ، أو القول الذي يتعظ به الناس ويتناقلونه للعظة والإعتبار ، أو مايزيد من القلوب وهج حب الدنيا ، أومعرفة حقائق الأشياء على قدر الطاقة البشرية ، أوما تكمل به النفوس من المعارف ، وإن شئت قلت هي المنهج القويم والصراط المستقيم الذي من اتبعه سعد واهتدى في إعتقاده وخلقه وقوله وفعله وعمله وسلوكه نحو الخالق والمخلوقين .

ثم هي ثمرة علم ومعرفة ويقظة واستقصاء للحقائق والتجارب ، وربط بين المقدمات والنتائج ، واستنباط وقياس الأشباه على الأشباه .

وقد تكون ثمرة إلهام إلهي ، وفيض رباني وعلم لدني ، وتصدر في كلتا الحالتين عن ذوي الفطر السليمة والمواهب العظيمة ، الذين اصطفاهم الله لرسالته ، واجتباهم لحمل أمانته ، أو الذين ساروا على قدم النبوات واستضاؤا بنور الرسالات، وتذوقوا الحقائق والأسرار ، فألهموا الحق والرشاد ، وقاموا مقام صدق في العباد ، ومن هؤلاء لقمان الحكيم الذي أثنى الله عليه في كتابه الكريم ﴿ **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم** ﴾ .

(فائدة) قوله تعالى ﴿ **وما أرسلنا من قبلك إلارجالا نوحي إليهم من أهل القرى** ﴾ قال المفسرون : لم يبعث نبي قط من النساء ولا من البدو ولا من العبيد ، وقولهم : كان لقمان عبدا حبشيا فيه تخالف وتضاد لما هنا من فضائل لقمان التي اختصه بها الرحمن الذي يختص برحمته من يشاء فما شاء كان ، وكذلك اختلافهم في نبوة مريم والخضر ، والحاصل أن كل ما جاء من هذا الكلام المطلق يكون حكمه على العموم ، وما خالفه يكون حكمه على الندور والخصوص وله نظائر ﴿ **ويخلق ما لاتعلمون** ﴾ ﴿ **وينشئكم فيما لاتعلمون** ﴾ ﴿ **إنما أمره إذا أراد شيا أن يقول له كن فيكون** ﴾ ﴿ **إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من**

تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ ﴿ إن الله عليم خبير ﴾

قال وهب بن منبه : تكلم لقمان وقال : يابني : عشرة آلاف باب من الحكمة أدخلها الناس في كلامهم وقضاياهم ، ولنقدم ماقصه ربنا الرحمن على لسان صديقه لقمان ، فيما أنزله من القرءان على نبيه المبعوث آخر الزمان ، قوله عز وجل ﴿ **ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد * وإذ قال لقمان لإبنه وهويعظه يابني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم** ﴾ [الآيات : ١٢- ١٣] ﴿ **يابني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أوفي الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير * يابني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور * ولاتصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لايحب كل مختال فخور * واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير** ﴾ [الآيات : ١٦ – ١٩]

تفسير هذه الآيات على الإختصار ، قوله عز وجل ﴿ **ولقد آتينا لقمان الحكمة** ﴾ قال العلماء : يعني العقل والعلم والعمل به والإصابة في

الأمور ، قوله ﴿ **وإذ قال لقمان لابنه** ﴾ واسمه أنعم ، وقيل مشكم بن لقمان ﴿ **يابني لاتشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم** ﴾ وهو الذي لايغفر لصاحبه ولايقبل الله منه صرفا ولا عدلا .

وقد روى ابن مسعود رضي الله عنه قال : لما نزلت ﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم** ﴾ شق ذلك على المسلمين وقالوا أينا لم يظلم نفسه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ليس ذلك إنما هو الشرك ، ألم تسمعوا قول لقمان لابنه ﴿ **يابني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم** ﴾ أخرجه الشيخان والترمذي .

وفي معنى الأول ما سبق إليه فهم المتأول ؛ نقل البغوي عن من سماه في تفسيره أنه قال : الحمد لله الذي قال ﴿ **والكافرون هم الظالمون** ﴾ ولم يقل والظالمون هم الكافرون .

قلت : والمشرك هو عابد الصنم الذي يزعم أنه ينفع ويضر ويقربه إلى الله تعالى كما حكى الله عنهم بقوله { **والذين اتخذوا من دون الله أولياء مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم** ﴾ ﴿ **والذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوايفترون** ﴾

وقوله ﴿ **يابني إنها إن تك مثقال حبة من خردل** ﴾ الكناية في قوله راجعة إلى الخطيئة ، وذلك أن ابن لقمان قال لأبيه : يا أبت إن عملت الخطيئة حيث لايراني أحد كيف يعلمها الله؟ فقال ﴿ **يابني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير** ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما : الصخرة هي التي تحت الأرضين السبع ، وهي التي تكتب فيها أعمال الفجار وخضرة السماء منها .

قال السندي : خلق الله الأرض على حوت وهو النون الذي ذكره الله عز وجل في القرءان ﴿ **ن * والقلم** ﴾ والحوت في الماء ، والماء على ظهر صفاة وهي الصخرة الذي ذكرها لقمان ليست في السماء ولا في الأرض ، والصخرة على الريح ﴿ **إن الله لطيف** ﴾ باستخراجها ﴿ **خبير** ﴾ بمكانها .

قال الحسن البصري : معنى الآية هي الإحاطة بالأشياء صغيرها وكبيرها . وفي بعض الكتب أن هذه الكلمة آخر كلمة تكلم بها لقمان فانشقت مرارته من هيبتها فمات رحمه الله ، قاله الحسن بن صالح رحمه الله .

(فائدة) قال الشيخ الشرجي في فوائده : رأيت بخط بعض العلماء أن من ضاع له شيء فقال : ياحفيظ مائة وتسع عشر مرة من غير زيادة ولا نقصان ثم يقول ﴿ **يابني إنها إن تك مثقال حبة من خردل** ﴾ إلى قوله ﴿ **يأت بها الله** ﴾ مائة مرة رد الله عليه ضالته وحفظها ، قال وهوصحيح مجرب .

قوله عز وجل ﴿ **يابني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر ما أصابك** ﴾ يعني من الأذى ﴿ **إن ذلك من عزم الأمور** ﴾ يريد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى فيهما من الأمور الواجبة التي أمر الله بها ، وهي من الأمور التي يعزم عليها لوجوبها في العين على كل عين .

قوله عز وجل ﴿ **ولاتصعر خدك للناس** ﴾ قال ابن عباس يقول : لا تتكبر فتحقر الناس وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك .

قال مجاهد : هو الرجل تكون بينك وبينه أحنة فتلقاه فيعرض عنك بوجهه .

وقال عكرمة : هو الذي إذا سلم عليه لوى عنقه تكبرا ، وإليه الإشارة بقوله تعالى في وصف المنافقين ﴿ **وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم**

رسول الله لووا رءوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون ﴾ وحقيقة النفاق التكبر مع التكذيب .

قال الربيع بن أنس وقتادة : معناه لاتحقر الفقراء ليكن الفقير والغني عندك سواء .

قوله عز وجل ﴿ **ولاتمش في الأرض مرحا** ﴾ متبخترا متكبرا مختالا ﴿ **إن الله لايحب كل مختال** ﴾ في مشيته فخور على الناس ﴿ **واقصد في مشيك** ﴾ أي ليكن مشيك قصدا لا تخيلا ولا إسراعا ولا قطفا .

قال عطاء : أمش بالوقار والسكينة كقوله تعالى ﴿ **يمشون على الأرض هونا** ﴾ ﴿ **واغضض من صوتك** ﴾ أي أنقص من صوتك ، وقال مقاتل ، أخفض من صوتك ﴿ **إن أنكر الأصوات** ﴾ أقبح الأصوات ﴿ **لصوت الحمير** ﴾ لأنه أوله زفير وأوسطه هرير وآخره شهيق ، وهما صوت أهل النار .

قال موسى بن أعين : سمعت سفيان الثوري يقول في قوله تعالى ﴿ **إن أنكر الأصوات لصوت الحمير** ﴾ قال صياح كل شيء تسبيح إلا الحمار.

وقال جعفر الصادق رحمه الله في قوله تعالى ﴿ **إن أنكر الأصوات لصوت الحمير** ﴾ قال هي العطسة القبيحة . انتهى التفسير .

وقال لقمان لإبنه : يابني لاتدخل في الدنيا دخولا يضر بآخرتك ، ولا تتركها تركا تكون كلا على الناس ، وقال : بع بآخرتك دنياك تربحهما جميعا .

وقال : كما تنام فكذلك تموت ، وكما تستيقظ فكذلك تبعث ، فاعمل عملاصالحا تنم وتستيقظ كالعروس ، ولاتعمل سوء فتنام وتستيقظ مرعوبا كالمجرم الذي يطلبه السلطان لسفك دمه .

وقال لقمان : من اجتمعت فيه خمس : الدين ، والمال ، والحياء، وحسن الخلق ، والسخاء فهو نقي تقي ، لله تعالى ولي ، ومن الشيطان بري .

وقال لقمان لإبنه : يابني إني موصيك بخلال إذا تمسكت بهن لم تزل سيدا : أبسط حلمك للقريب والبعيد ، وامسك جهلك عن قول الكريم واللئيم ، واحفظ إخوانك ، وصل أقاربك ، وأمنهم من قبول ساع

أو سماع باغ يريد فسادك ويريد خداعك ، وليكن إخوانك ممن إذا فارقتهم وفارقوك لم تعبهم ولم يعيبوك .

وقال : يابني اجعل عقل غيرك لك فيما تدعوك الحاجة إلى فعله ، فقال يا أبت : كيف اجعل عقل غيري لي ؟ فقال : تشاوره في أمرك فيما تحب .

وقال : إذا استخار الرجل ربه ، واستشار صحبه ، واجتهد في رأيه فقد قضى ما عليه ، ويقضي الله في أمره مايحب .

وقال : ضرب الوالد للولد كالسماد للزرع .

وقال : لأن تكون أخرس عاقلا خير لك من أن تكون نطوقا جاهلا ، ولكل شيء دليل ؛ العقل دليله التفكير ، ودليل التفكير الصمت ، ومن نطق في غير خير فقد لغا، ومن نظر في غير اعتبار فقد سهى ، ومن سكت في غير فكر فقد لها .

يابني : لو قرأت صحيفتك لأغمدت صفيحتك .

يابني : لو رأيت ما في ميزانك لختمت على لسانك .

وحكي أيضا عن لقمان الحكيم رحمه الله قال لإبنه : يابني إفعل ما يصلحك في دينك ودنياك ، وامض في مصلحتك حتى تنتهي منها ، ولاتحفل بالناس ولا تصغ إلى قولهم وعذلهم ؛ فلاسبيل إلى رضائهم ولاحيلة في اجتماع قلوبهم .

يابني : إيتني بحمار وانظر مايكون من كلام الناس ؛ لايرضون على أحد أبدا ، فأتاه به فركب لقمان عليه وأمر ابنه أن يسوق به الحمار ، فمر بمحفل من الناس فقالوا : الصغير يمشي والكبير يركب ما أجفاه وأغلظه . فقال يابني ما قال الناس ؟ فأخبره ، فنزل عن الحمار وأركب ابنه وساق به ، فمر بمحفل آخر فقالوا : الصغير يركب والكبير يمشي على قدميه ما أجفا هذا الصغير وأسوأ أدبه ، فقال يابني ما قال الناس ؟ فأخبره بما قالوا . فركب الأب والا بن معا فمرا بمحفل آخر فقالوا اثنان رديفان على حمار لا من علة ولا من ضعف ! ما أغلظهما ، فقال يابني ما قال الناس ؟ فأخبره ، فنزلا عن الحمار وساقاه ؛ فمرا بمحفل آخر فقالوا : ياسبحان الله حمار يمشي وهو صحيح قادر ورجلان يمشيان على الأقدام !! هلا ركب أحدهما ، فقال يابني ما قال الناس ؟ فأخبره ، فقال يابني ألم أقل لك افعل ما يصلحك ولا تحفل بالناس ، إنما أردت بهذا تعليمك .

قال خالد الربعي : كان لقمان عبدا حبشيا فدفع مولاه إليه شاة وقال : إذبحها وائتني بأطيب مضغتين منها ؟ فأتاه باللسان والقلب ، ثم دفع إليه شاة أخرى وقال إذبحها وائتني بأخبث مضغتين منها ؟ فأتاه باللسان والقلب ، فسأله مولاه عن ذلك فقال : ليس شيء بأطيب منهما إذا طابا ولا أخبث منهما إذا خبثا .

قال لقمان : إذا أردت أن تواخي أخا فأغضبه ؛ فإن أنصفك وهو غضبان فآخه والا فاحذره .

وقال يابني : لايكن الديك أكيس منك ؛ هو قائم يصيح بالأسحار وأنت نائم في فراشك .

يابني : لاتبعث رسولا جاهلا ؛ فإن لم تجد حكيما فكن أنت رسول نفسك .

يابني : إذا مررت بقوم فارمهم بسهم الإسلام وهو السلام ، فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

يابني : من قال إن الشر يطفئ الشر فإن كان صادقا فليوقد نارين ثم لينظر هل تطفئ أحدهما الأخرى ! وإنما يطفئ الخير الشر كما يطفئ الماء النار .

يابني : الصبر عند المكاره من حسن اليقين .

يابني : لاتأكل وأنت شبعان فإنك أن تنبذه للكلاب كان خيرا لك من أن تأكله .

يابني : كل أطيب الطعام ، ونم على أوطى الفراش (أراد أكثر الصيام وأطل القيام حتى تستطيب الطعام وتلتذ بالفراش)

يابني : نقلت الصخر وحملت الحديد فلم أرى شيئا أثقل من الدين ، وأكلت الطيبات وعانقت الحسان فلم أرى شيئا ألذ من العافية ، وذقت جميع المرارات فلم أرى شيئا أمر من الإحتياج إلى الناس .

يابني : إذا أردت أن تقطع أمرا فلا تقطعه حتى تشاور وتستشير مرشدا .

يابني شاور من جرب الأمور فإنه يعطيك من رأيه ماقام عليه بالغلا وأنت تأخذه مجانا (يعني بغير ثمن) .

يابني : لاتكون الذرة أكيس منك تجمع في صيفها لشتائها ،وهي إذا حصلت على بيتها الندوة من المطر تفلق الحبة أنصافا لئلا تنبت فتفسد ، وأما الكزبرة فتفلقها أربعا لأنها من بين الحب ينبت نصفها ، وتجد من بعد رائحة الشيء الذي إذا وضعته أنت على أنفك لم تجد له رائحة الشيء ألبتة ، كرجل الجرادة يابسة تجد رائحتها من جوف جحرها فإذا تكلفت على حملها وأعجزتها إستدعت إليها سائر الذر واستعانت به

يابني : جالس العلماء وزاحمهم بركبتك ، فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة ، كما يحيي الأرض بوابل المطر .

يابني : عليك بالعلم فإنك إن إفتقرت كان لك مالا ، وإن استغنيت كان لك جمالا .

يابني : أغد عالما أومتعلما أومستمعا أومجيبا ،ولاتكن الخامس فتهلك .

يابني : لا تستقلن من فقير استغنى .

يابني : لاتقارب السلطان إذا غضب ، ولا البحر إذامد .

يابني : ثلاثة يجب على الناس مداراتهم : الملك المسلط ، والمريض ، والمرأة .

يابني : لاتقبل بحديثك على من لايسمعه ؛ فإن نقل الصخور من رؤوس الجبال أيسر من محادثة من لايسمع حديثك .

يابني : لاتشهد الأعراس فإنها ترغبك في الدنيا وتنسيك الآخرة ، واشهد الجنائز فإنها تزهدك في الدنيا وترغبك في الآخرة .

يابني : إن الموعظة تشق على السفيه كما يشق صعود الوعر على الشيخ الكبير .

يابني : إرحم الفقراء لقلة صبرهم ، وارحم الأغنياء لقلة شكرهم ، وارحم الجميع لطول غفلتهم .

يابني : إذا كان خازنك حفيظا ، وخزائنك أمينة ، سدت في دنياك وآخرتك (يريد بهما القلب واللسان) .

يابني : كن أمينا تعش غنيا حميدا .

يابني : كفى بالقناعة عزا ، وبطيب النفس نعيما .

يابني : اجعل همك فيما خلقت له ولاتجعل همك فيما كفيت .

﴿ وصية لقمان لإبنه عليهما السلام ﴾

يابني : إذا كان العلم يكتب بالمداد فاكتب هذه الوصية بماء الذهب : لاعقل لمن لا عصمة له ، ولامروءة لمن لا صدق له ، ولا أمانة لمن لا سر له ، ولا علم لمن لا رغبة له ، ولا مال لمن لا رفق له ، ولاكنز أنفع من العلم ، ولا مال أربح من الحلم ، ولا حسب أرفع من الأدب ، ولا كرم أعلى من التقوى ، ولا قرين أزين من العقل ، ولا غائب أقرب من الموت ، ولا شيء أنفع من الصدقة ، ولا جيفة أنتن من الحرام ، ولا عبادة أفضل من الصمت ، ولا سيئة أسوأ من الكذب ، ولا محنة لصاحبها أمحن من الكبر ، ولا غم أغم لصاحبه من الحسد، ولا عار أقبح من البخل ، ولا ذل أذل من الطمع .

يابني : من نظر في عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره ، ومن استخف زلته استعظم زلة غيره ، ومن استغنى برزق الله لم يتمنى ما في أيدي الناس ، ومن سل سيف البغي قتل به ، ومن حفر لأخيه حفرة سوء وقع فيها ، ومن تعرض لهتك مسلم كشفت عورته ، ومن كابد الأمور أخطأ ، ومن اقتحم اللجج غرق ، ومن حمل ما لايطيق عجز ، ومن أعجب بنفسه هلك ، ومن تكبر على الناس ذل ، ومن لم يشاور ندم ، ومن لم يجرب الأمور خدع ، ومن جالس العلماء علم ، ومن جالس السفهاء ندم ، ومن قل كلامه دامت عافيته ، ومن اتبع نفسه في شهواتها افتضح ، ومن أبدأ سره إلى غير صديق أشمت بنفسه ، ومن اصطنع إلى غير أهل الصنائع فقد أبطل صنيعه ، ومن ترك الظلم فقد أعز نفسه .

يابني : أكلت جميع الطيبات فلم أجد شيئا ألذ من العافية ، وذقت جميع المرارات فلم أجد شيئا أمر من الحاجة إلى الناس ، وحملت الصخر والحديد فلم أجد شيئا أثقل من الدين والذنب .

يابني : جهد البلاء في الدنيا خمس خصال : سلطان أضر برعيته ، ورجل أضرت به امرأته ، وكثرة العيال مع قلة المال ، وصديق يلقاك مرحبا وهو يمشي في هلاكك ، وجار سوء يدفن حسناتك ويفشي سيئآتك .

يابني : لا تظن في النساء خيرا ، و لاتركن إليهن ، واخش شرارهن ، وكن من خيارهن على حذر .

يابني : إذا جاورت قوما فغض بصرك عن محارمهم .

يابني : من أسأ إليك أحسن إليه .

يابني : إزرع الجميل تحصد الجزيل ، وصاحب الأشراف وتجنب الأطراف ، فشريف النفس والقدر إن صاحبته نفعك ؛ وإن إطلع على سرك سترك ، والطرف الداني إن سايرته وضعك ، وإن أمنته خدعك ، وإن رأى في يدك شيئا حسدك ، وإن استغنى عنك تركك .

وقال ابن لقمان لأبيه : يا أبت من يحيط بكل العلم ؟ فقال كل الناس .

(حكاية) حكاها الإمام اليافعي في كتاب روض الرياحين عن بعض السلف قال : كان لقمان عليه السلام عبدا حبشيا لرجل ؛ فجاء به إلى السوق ليبيعه ، فكان لقمان كلما جاء إنسان يشتريه قال له ما تصنع بي !! فإذا قال كذا وكذا قال حاجتي إليك أن لاتشتريني ، حتى جاء إلى رجل فقال له لقمان ما تصنع بي ؟ فقال أصيرك بوابا على بابي ، فاشتراه وجاء به إلى داره ، وكان لمولاه ثلاث بنات يبغين في القرية وأراد أن يخرج إلى ضيعة له ، فقال للقمان إني قد أدخلت إليهن طعامهن وما يحتجن إليه ، فإذا خرجت فأغلق الباب واقعد من ورائه ولا تفتحه حتى أحضر ، فلما خرج فعل ما أمره به ، فقلن له إفتح الباب فأبى عليهن ، فشججنه فغسل الدم وجلس ، فلما قدم سيده لم يخبره ، ثم أراد سيده الخروج ثانيا فقال إني قد أدخلت إليهن ما يحتجن إليه فلا تفتح الباب لهن ، فلما خرج خرجن إليه وقلنا له إفتح الباب فأبى ، فشججنه ورجعن ، فجلس ، فلما أن جاء مولاه لم يخبره بشيء ، فقالت الكبيرة : مابال هذا العبد الحبشي أولى بطاعة الله عز وجل مني ! والله لأتوبن فتابت ، فقالت الصغيرة مابال هذا الحبشي وهذه أختي الكبرى أولى بطاعة الله عز وجل مني فتابت ، فقالت الوسطى مابال هذا العبد الحبشي وهاتين أولى بطاعة الله عز وجل مني ، والله لأتوبن فتابت ، فقال غواة القرية : مابال هذا العبد الحبشي وبنات فلان أولى بطاعة الله منا ، والله لنتوبن ، فتابوا الجميع وصاروا عباد القرية .

وعن لقمان عليه السلام أنه قال لإبنه : الإنسان ثلاثة إثلاث : ثلث لله ، وثلث لنفسه ، وثلث للدود ، فأما ما هو لله فروحه ، وأما ما هو لنفسه فعمله ، وأما ما هو للدود فجسمه .

وقال لقمان لإبنه : إذا امتلأت المعدة بالطعام نامت الفكرة ، وخرست الحكمة ، وقعدت الأعضاء عن العبادة .

وحكي عن الحسن أن لقمان قال لإبنه : لا تكونن أعجز من الديك يصوتك بالأسحار وأنت نائم على فراشك .

(فائدة) قال النووي في كتاب الأذكار : أن لقمان ومريم ليسا بنبيين، ونقل ذلك عن جماهير العلماء ، ثم قال : ولا إلتفات إلى من شذ وقال إنهما نبيان .

ونقل عن بعض العلماء أنه قال : كان لقمان ومريم صديقين لأنهما يرتفعان عن حال من يقال فيه رضي الله عنه وعنها ، وينزلان عن مرتبة من يقال فيه صلى الله عليه وعليها ، يعني لما في القرءان العزيز مما يرفعهما ، ثم قال : والذي أراه هذا لابأس به وإن لم يكن الراجح ، بل الراجح أن يقال رضي الله عنه وعنها ، لأن هذه المرتبة لغير الأنبياء ولم يثبت كونهما نبيين ، ثم قال : ولو قال عليه السلام وعليها فالظاهر أنه لا بأس به . انتهى .

(خاتمة جليلة) إعلم وفقك الله وألهمك ، ونور قلبك وفهمك ، وفتح عليك من أنواره وعلمك، إن الحكمة الأصلية هي عبادة الله على

الخوف والتقوى ، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم : رأس الحكمة مخافة الله .

وقال الشبلي : ماخفت الله يوما إلا رأيت بابا من الحكمة والعبرة ما رأيته قط .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أيكم عقلا أشدكم لله خوفا ، وأحسنكم فيما أمر الله به تعالى ونهى عنه نظرا ، فإذا اجتمع في قلب مؤمن الرجاء لله والخوف له مع التقوى والشكر والصبر وغيرها من مقامات الإيمان فقد تمت فيه الحكمة ، فاستوجب صاحبه أن يسمى حكيما ، ويدعى ممن أوتي الحكمة ، وهي المشار إليه في قوله عز وجل ﴿ **ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا** ﴾ وقوله تعالى ﴿ **ولقد آتينا لقمان الحكمة** ﴾ قال بعض العلماء : الحكمة تحقيق العلم واتقان العمل ، والخير الكثير هو خير الدارين . وقالوا أيضا : الحكمة هي العدل ، لأنه يمنع صاحبه من الجهل كحكمة الدابة لأنها تردها من إفسادها ، والحكيم عند الله العالم العامل ، والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ، وحقيقة المتعلم العالم العامل المعلم ، قال الشاعر :

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم
إبدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

وقال عيسى : من تعلم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما في ملكوت السموات والأرض .

وقال بعض العلماء : الحكمة نباء عظيم تحتوي على محاسن الصفات وشرائف العلوم ، وذلك إن الحكمة عظيمة ، والمتصف بها يسمى حكيما ، قال : وهي عبارة عن معرفة الحق بما هوعليه من الكمال والمقال وحسن الأفعال ، وتنزيهه من صفات النقص، ومعرفة الخلق وجميع ما تقتضيه أحوالهم ، فإذا كملت النفس بمعرفة الحق ومعرفة السمت إتصفت بمعرفة حكمه .

فأما ما يتعلق بمعرفة الحق وهو معرفة ذاته وصفاته وأسمائه وأنبيائه من تلقيهم الوحي من هذا المبدأ الفياض ، قال : والوصول إلى هذه المعرفة من طريقين ؛ أما من طريق البرهان كما هو طريق المتكلمين وأما من طريق العيان كما هو طريق المقربين والمكاشفين ، فهذا واحد من أقسام الحكمة المتعلقة بالحق .

وأما الشطر الثاني من الحكمة المتعلقة بالخلق فهي تنقسم إلى قسمين : أما علمية أو عملية كعلوم السياسات الإلهية الواردة على لسان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وتدخل في هذا علوم الكتب المنزلة كالتوراة والإنجيل والزبور والفرقان ، وعلومها كثيرة كمعرفة أسبابها وأوقاتها وأسانيدها ومحكمها ومتشابهها وعلوم حقائقها ومجازها ، وتدخل تحت السياسة الإلهية سائر سنن الأنبياء وأخبارهم وآثارهم وعلوم أحاديثهم ورواتها وما يتفرع عنها من الأحكام الفقهية من عبادات أو عادات .

ومن الحكمة العملية علم الأخلاق وتمييز حسنها من قبيحها ، ووضع كل خلق في موضعه ، مثل الإتصاف بالصفات الحميدة والتجنب عن الأخلاق الذميمة .

ومن الحكمة العلمية : علم المعاشرة ،وعلم كيفية المعاملة والمنادمة ، واعطاء كل شخص ما يقتضيه حاله ، ومن الحكمة العلمية سياسة الملوك ، وتدبير المنزل، فهذه أصول الحكمة العلمية .

قال : وكتاب الإمام الجليل محمد بن محمد بن محمد الغزالي المسمى باحياء علوم الدين لا أعلم في الحكمة العلمية كتابا أجمع منه ولا أنفع ، فهو مشتمل على أربعة أنواع ، ربع منه في العبادات كالصلاة والصوم والزكاة والحج والأوراد والأذكار ، وربع منه في العادات كالنكاح والطلاق والإعتاق والبيع والشراء ، وربع منه في بيان الأخلاق المهلكات كالعجب والحسد والبغي ، وربع منه في بيان الأخلاق الحميدة ، وهو كتاب جليل في الحكمة العلمية .

قال فيه : وأما الحكمة العلمية فهي قسمان : طبيعي مثل قسم الطب ، وعلم البيطرة ، وعلم البيررة ، وعلم النبات ، وعلم الحيوان ، وعلم الفلاحة ، وعلم المعدن ، وعلم الجواهر ، وعلم الكون والحساب ، وعلم قوس قزح ، وعلم الفراسة ، وعلم تعبير الرؤيا ، وعلم أحكام النجوم ، وعلم السحر ، وعلم الطلسم ، وعلم السيميا ، وعلم الكيمياء ، وعلم التشريح ، وعلم الكحالة ، وعلم الصيدلة ، وعلم طبخ الأشربة والمعاجين ، وعلم قلع الآثار عن الثوب ، وعلم تركيب المزاج ، وعلم الجراحة والفصد

والحجامة والباءة ومعرفة الشامات والخيلات والأسارير ، وعلم الأكناف، وعلم قيافة الأثر ، وعلم قيافة الشر، وعلم الإهتداء في البراري والقفار والبحار ، وعلم الريافة ، وعلم نزول الغيث ، وعلم العرافة ، وعلم الإختلاج ، وعلم النادرات ، وعلم الرقاء ، وعلم العزائم ، وعلم الإستحضار ، وعلم دعوة الكواكب ، وعلم الأخفار ، وعلم كشف الدك ، وعلم الشعبذة ، وعلم الرمل ، وعلم تسخير الجان . وهذا جانب من العلوم الطبيعية .

وأما الرياضة فهي : علم الهندسة ، وعلم الأبنية ، وعلم المناظر ، وعلم المرايا المحرقة ، وعلم جر الأثقال ، وعلم المساحة ، وعلم الآلات الحربية ، وعلم الرمي ، وعلم الهيئة ، وعلم التعديد ، وعلم السباحة ، وعلم الريحان ، وعلم التقاديم ، وعلم مواقيت الصلاة ، وعلم الإكراه ، وعلم صور الكواكب ، وعلم مقادير العلويات ، وعلم منازل القمر ، وعلم الجغرافيا ، وعلم مسالك البلدان ، وعلم البروج ومسافاتها ، وعلم خواص الأقاليم ، وعلم القرابات ، وعلم الملاحم ، وعلم المراسم، وعلم الإصطرلاب ، وعلم وضع الربع المقنطر والمجيب ، وعلم ربع الدائرة ، وعلم آلات الساعة ، وعلم الأعداد ، وعلم حساب البخت والميل ، وعلم الجبر والمقابلة ، وعلم الفرائض ، وعلم حساب الهوى ، وعلم خواص الأعداد ، وعلم الموسيقى ، وعلم السماع . قال فهذه أصول العلم .

ويتفرع من هذه العلوم التي ذكرناه علوم لاتحصى ، فمن أعطاه الله عز وجل معرفة الحق بما تصل إليه القوة البشرية والخلق بما هم فيه فقد

أعطي الحكمة ، وقد قال تعالى في مدح الحكمة ﴿ **ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا** ﴾ والله أعلم ، فهذه أعداد عددها .

وفي بعض المساطير سودها بعض العلماء ، نقلناها كما ذكرها ، لتراها كما زبرها ، وقد قال الله تعالى ﴿ **وفوق كل ذي علم عليم** ﴾ وقال ﴿ **وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** ﴾ وقال ﴿ **وقل رب زدني علما** ﴾ وقال تعالى ﴿ **رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين * واجعل لي لسان صدق في الآخرين * واجعلني من ورثة جنة النعيم** ﴾ وقال ﴿ **رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين** ﴾ والله أعلم .

فتنزه وتدبر ولاتنكر فتنكر ، ولاتستهزي ولا تتكبر تخسر ﴿ **فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون * لا جرم أن الله يعلم مايسرون وما يعلنون إنه لا يحب المستكبرين** ﴾[الآيات : ٢٢ – ٢٣ النحل] ﴿ **سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لايؤمنوا بها وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين** ﴾ [الآية : ١٤٦ الأعراف]

قال بعض الحكماء : إعلم إن الحكماء المتكلمين في الحكمة على ثلاثة أقسام : إلهيون وطبيعيون ودهريون ، فأما الطبيعيون والدهريون فهم حقيقيون أن لا يعدو في العقلاء فضلا عن الحكماء ، وأما الإلهيون فهم جماعة متمسكون بكثير من سنن الأنبياء عليهم السلام ، ولهم اجتهادات واردات يصورها الصواب والخطاء . قال : وهذا شأن العقل ، وكمال العقل أن يؤيد بتأييد رباني كتأييد الله سبحانه لأنبيائه عليهم الصلاة والسلام . وقال : مدار كلام الإلهيون يدور على معرفة الوجود الخفي وهو الله سبحانه وتعالى وما يتصف به من صفات الكمال ، والخلق العلوي والسفلي وكيف حال مبدأهم ومعادهم . انتهى .

وفي تفسير الإمام البغوي عند قوله تعالى ﴿ **ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتنا ويعلمهم الكتاب والحكمة** ﴾ قيل الحكمة فهم القرءان ، وقيل مواعظ القرءان وما فيه من الأحكام ، وقيل العلم والعمل ، ولايكون الرجل حكيما حتى يجمعهما ، وقيل هي السنة ، وقيل هي الأحكام والقضاء ، وقيل الفقه ، وقيل كل كلمة وعظتك أو زجرتك أودعتك إلى مكرمة أو نهتك عن قبيح ملامة فهي حكمة الحاكم . وقال في معنى اسم الله الحكيم : الحكيم له معنيان : أحدهما وهو القاضي العدل ، والثاني المحكم للأمر كيلا يتطرق إليه الفساد . وقيل إن الحكمة يعني الحسية نزلت من السماء على ثلاثة أعضا : على أدمغة اليونان ، وأيدي الصين ، وألسنة العرب .

تكملة نذكر فيها ما وجدناه من الحكايات والوصايا المنسوبات إلى لقمان الحكيم الملقب بأعجوبة الزمان

فمن طرائف ما يروى عنه من الأخبار المحصلة لإعتبار ما روي عن عثمان بن عطاء الخراساني عن أبيه قال : لما أعتق لقمان أعطاه مولاه مالا فبارك الله للقمان في ذلك المال فكثر ونما ، وجعل لا يأتيه أحد يستقرض منه قرضا إلا أقرضه ، ولا يأخذ عليه حميلا ولا رهنا ، إلا إذا أراد أن يدفع إليه المال قال : تأخذه بأمانة الله تعالى لترده إلي عاما قابلا ، فإذا قال نعم دفعه إليه ، فجعل الناس يأخذون ويردون ، فذكر فعل لقمان لرجل يسكن ساحل البحر ؛ تجارته في البحر لص ملط فاجر ، فقال : والله ما رأيت مالا أضيع من هذا ؛ ما يأخذ مني رهنا و لاحميلا ! والله لآتين هذا الرجل فلا أقطعن من ماله عظيما ، فأقبل إليه وقال للقمان : ذكر معروفك وأنا رجل أسكن كذا وكذا من ساحل البحر وتجارتي فيه ، فإن رأيت تقرضني قرضا أصيب منه ثم أوديه إليك فعلت ؛ قال نعم ! وكم تريد ؟ قال فسمى له وأكثر ، قال نعم أنا لست أسألك حميلا ولا آخذ منك رهنا ؛ تأخذه بأمانة الله أن توديه إلي عاما قابلا في مثل هذا اليوم ؛ قال نعم، فدفع إليه ما شاء وكتب عنده إسمه واسم أبيه ومنزله الذي سمى ، فذهب بالمال ووضع يده فيه وخلطه بماله وأجمع أن لايوديه إليه .

وأراد ابن لقمان السفر فقال يا أبت إني أريد أرض كذا وكذا لئن رأيت أن تأذن لي فعلت ؟ قال نعم ؛ يابني إذهب واحمل على دوابك وشد عليك ثيابك ثم إيتني أوصيك بوصية ، ففعل ذلك ابنه ثم أتاه ،

فقال قد فعلت يا أبت ، قدحملت على دوابي وشددت على ثيابي فأوصني ، قال نعم : يا بني إن في طريقك مفازة فأبكر فيها الدلجة ،وإنها ستعرض لك شجرة واسعة الظل تحتها عين ماء قريبة من الشجرة فلا تنزلن تحتها ، يابني : إني أرجو أن يخرجك الله منها سالما، فتأتي حي بني فلان وبهم لنا صديق وقد أعلم أنهم سيكرمونك يابني ، وفيهم إمرأة شابة كريمة الحسب كثيرة المال ، وقد أعلم أنهم سيعرضونها عليك فلا أعلم ما تحتها ولا ظننت بشيء من أمرها ، يابني أرجو أن يسلمك الله منه . وإن رجلا يسكن ساحل كذا وكذا وقد أتاني منذ حين واقتطع من مالي كذا وكذا وذكر له إسمه واسم أبيه ومنزله ، فأته واقتض ما عليه ولا تبيت عنده ليلة ، يابني أنظر إلى الذي أوصيك به فافعله ، قال الفتى نعم .

قال يابني : إن من أفضل ما أوصيك به إن صحبك في طريقك هذا رجل هو أكبر منك فلا تعصه حتى ترجع إلي ، قال إفعل ، فسار ابن لقمان حتى إذا انتهى إلى المغارة فأبكر فيها الدلجة ؛ فإذا هو بعيد من ذلك وأسحق ، فقام قائم الظهيرة واشتد الحر وهو في وسط منها ، فبينما هو يسير إذ عرضت له الشجرة ، فلما نظر إليها عرفها بنعت أبيه ، فإذا تحتها شيخ جالس فعدل عنها ، فقال له الشيخ : ما الذي تريد يافتى ؟ قال أريد أن أسير ؛ قال فلاتفعل فقد قام قائم الظهيرة واشتد الحر ، ولكن أنزل واستقل في ظل هذه الشجرة ، وضع عن دوابك واشرب من الماء ، فإذا أبردت فارتحل ، قال الفتى في نفسه هذه الشجرة التي نهاني عنها أبي ما أريد أن أفعل !! قال له الشيخ : أقسمت عليك أن تنزل ، قال ووافق ذلك منه هوى ، وفكر أن أباه قد قال له إن صحبك رجل هو

أكبر منك فلا تعصه ، فنزل الفتى ووضع عن دوابه واستظل وأكل وشرب ؛ ورقد وأبى الشيخ أن ينام ، فلما نام ابن لقمان إنحطت حية من رأس الشجرة ، فلما نظرها الشيخ رماها فقتلها ، ثم قطع رأسها فجعله في جراب وغيب لحمها حتى إذا أدبر النهار أيقظ ابن لقمان فقام ، فلم يشك من نفسه شيئا ، فحمل على دوابه وقال له الشيخ أين تريد؟ فقال أرض كذا وكذا ، قال وأنا أريدها فهل لك في صحبتي ؟ قال ابن لقمان أحب صاحب ، فلما نزلوا بالحي الذي سماه له لقمان ؛ قالوا ابن لقمان !! فأنزلوه وأكرموه ، فبينما هم يأكلون ويشربون عنده إذ قال رجل منهم : يا بن لقمان هل لك في إمرأة شابة كريمة الحسب كثيرة المال تنكحها ؟ قال ابن لقمان في نفسه : هذه المرأة التي نعتها لي أبي ، مالي حاجة بالنكاح ، قال الشيخ ماتعرضون عليه ؟ قالوا نعرض عليه شابة حسناء جميلة كريمة الحسب كثيرة المال ، قال الشيخ : شباب وجمال ما يترك !! هذه أنكحها يابني ، فقال ابن لقمان : ما أريد النكاح ياعم ، وإني لعلى رحلي ، قال أقسمت عليك لتفعلن ، فوافق ذلك منه الهوى ، وذكر الذي عوفي منه في الشجرة ، وإن أباه قال : إن صحبت رجلا هو أكبر منك فلا تعصه ، فنكحها ، فلما ملك عصمتها أتاه صديق لأبيه فقال : بئس ما صنعت ! هذه إمرأة قد نكحت من قبلك تسعة ليس منهم رجل إلا يصبح ميتا على فراشها وأنت العاشر، فدخل الشيخ على ابن لقمان وهو مهموم حزين ؛ فقال له مايحزنك ؟ فقال : المرأة التي أمرتني أن أنكحها نكحت قبلي تسعة ليس منهم رجل إلا يصبح ميتا على فراشها وأنا أكره الموت ، قال انتظر الذي آمرك به فافعله ، فإذا دخلت عليك فلا تقربها حتى تأتيني ، فأقبلوا بها

حتى أدخلوها على الزوج ، ومن عادتهم إذا أدخلوها على الزوج حلقوا بالبيت ، فإذاصاح كانت علامة موته ، فدخلوا واحتملوا صاحبتهم وما معها وتركوه ، فحفوا بالبيت كما كانوا يصنعون ، فقال ابن لقمان للمرأة إن لي حاجة ؟ فخرج إلى الشيخ وقال له المرأة في البيت وأنا عندك ، فقال له : إيتني بمجمرة فيها جمر ، فأتاه بها ابن لقمان ، فعمد الشيخ إلى رأس الحية التي قتلها عند الشجرة فجعلها على المجمرة ، ثم قال : انطلق بها فاجعلها تحت المرأة ، فإذا برد فأتني به ، ففعل بها ابن لقمان ، فقال لها اجعلي هذه تحتك ، ففعلت ، فلما انطفأ الجمر ذهب بالمجمرة إلى الشيخ فإذا شبه الدودة محترقة في المجمرة ، فقال إذهب إلى أهلك فلا بأس عليك ، فإن هذه التي كانت تقتل الرجال ، فانطلق إلى أهله فأصبح قرير العين ، وأصبحت المرأة فرحة ، وتفرق الذين كانوا حافين بالبيت ، فلما أراد ابن لقمان أن يرتحل قال له الشيخ أين تريد ؟ قال غريما لنا في ساحل كذا وكذا أريد أن آتيه فاقتضي حقنا ، قال له هل لك في صحبتي ؟ قال أحب صاحب ، فانطلق معه حتى قدما الساحل ، فسألا عن غريمهما فقال أهل البلد ذاك لص فاجر ، وكان قد عمد إلى قصر بناه على ساحل البحر ، فحين يمد لايترك حول القصر شيئا إلا احتمله ، ولايخلص إلى القصر ولا إلى مافيه ، فأتاه ابن لقمان فقال له : إني ابن لقمان وحقنا عليك ؟ فقال : بيتا الليلة ثم اغدوا على مالكما ، قال ابن لقمان هذا الذي منعني منه أبي ، ما أريد أن أبيت الليلة ، قال الشيخ ماذا تعرض عليه ؟ قال أعرض عليكما أن تبيتا الليلة ثم تغدوا على مالكما ، قال الشيخ إفعل يابني ، قال ما أريد ذلك ، قال الشيخ : أقسمت عليك لتفعلن ، قد أنسأته أكثر من

ليلة أفلا تنسئه ليلة ! فوافق ابن لقمان ، وذكر الذي عوفي منه في الشجرة والمرأة ، فلما فرغا من عشائهما عمد إلى وطاء تحت القصر ففرش لهما على سريرين ، وقد علم أن الماء إذا جاء احتملهما ، وعمد إلى ابن له فأضجعه على سرير فوقهما في مكان قد علم أن الماء لا يبلغ إليه ، فرقد ابن لقمان وأبى الشيخ أن ينام ، فلما كان في جوف الليل أقبل البحر ، فلما رآه الشيخ أيقظ ابن لقمان وحملا سريرهما فجعلاهما مكان سرير الغلام ، وحملا سرير الغلام وهو نائم فوضعاه موضع سريريهما أولا ، فأقبل البحر واحتمل الغلام بسريره ، فذهب به ولم يخلص لهما ، فلما كان الصبح طلع صاحب القصر ينظر ما فعل غريماه ، فإذا هما نائمان وإذا ابنه قد ذهب ، فناداهما وقال : إني مكرت بكما وحاق بي المكر ، فاغدوا على مالكما ، فغدوا على مالهما فانتقداه ، ثم انصرفا إلى المرأة فأمرها ابن لقمان بالرحيل فارتحلت بمال عظيم من أصناف الأموال ، وأقبل معه الشيخ حتى شارفا منزل لقمان ، قال الشيخ لإبن لقمان : أي صاحب وجدتني في سفرك ؟ قال خير صاحب ؛ كفى الله بك ورزق ، قال فمالي فيما أصبت ؟ قال بلى ؛ نصفه طيبة به نفسي ، قال الشيخ : فإما تقسم وتخيرني وإما أقسم وأخيرك ؟ فعرف الشيخ هوى ابن لقمان في المرأة ، فعمد إليها وإلى شيء من مالها فعزله ، وعمد إلى عظيم المال فتركه ، وقال لإبن لقمان : إختر ؟ فقال ابن لقمان : أما أنت عدلت وأنصفت حين خيرتني ، وإن كنت فعلت اختار المرأة وما معها ، فارتحل ابن لقمان وما معها ، وقام الشيخ في عظيم المال ، فلما سار ابن لقمان وكاد أن يغيب عن الشيخ أدركه وقال أعطيتني مالك فبم ذلك ؟ لعلك تخوفت مني شيئا ؟ قال ابن لقمان : وماعسيت أن أتخوف منك

، ولكن لايذكر من صاحب أفضل بما أذكر منك، فقال : تعطيني ذلك طابت به نفسك ! قال نعم ، فقال الشيخ : إذهب فلك أهلك ومالك يبارك الله لك فيهما ، لست أنا من البشر إنما أنا أمانة أبيك التي كان يأتمن بها الناس ، بعثني الله لأصحبك في طريقك ، ثم أدرك أباك صالحا فاطمئن في مالك المبارك فيه ، انتهت الحكاية وهي مما أورده الشيخ الإمام جمال الدين : محمد ابن موسى بن عمر الدوالي اليمني في كتابه المسمى (بحديقة الأذهان في أحاديث الأخلاق الحسان)

قلت : وهذا ماذكره الإمام محيي الدين وإمام المسلمين يحيى النووي في كتابه (تهذيب الأسماء واللغات) في حرف اللام ، وهو ترجمة لقمان الحكيم من الكتاب المذكور ، ونقلناه بكماله في هذا وربما تقدم شيء منه ولكن تكرار المليح مليح ، لأن المقصد إن شاء الله صحيح .

قال رضي الله عنه : لقمان الحكيم عليه السلام مذكور في المهذب في باب الإستطابة ، قال الله تعالى ﴿ **ولقد آتينا لقمان الحكمة** ﴾ الآيات . قال الإمام أبو إسحاق الثعلبي في كتابه (العرائس) في القصص : كان لقمان مملوكا ، وكان أهون مملوك سيده عليه ، قال : وأول ماظهر من حكمته أنه كان مع مولاه ، فدخل مولاه الخلاء فأطال الجلوس ، فناداه لقمان : أن طول الجلوس على الخلاء تتجمع منه الكبد ، ويورث البأسور ، وتصعد الحرارة إلى الرأس ، فاجلس هوينا وقم ، فخرج مولاه وكتب حكمته على باب الخلاء .

وروي أنه كان عبدا حبشيا نجارا ، قال : وقال أبوهريرة مر رجل بلقمان والناس مجتمعون عليه ، فقال له : ألست العبد الأسود الذي تراعينا بموضع كذا، قال بلى ؛ قال فما بلغ بك إلى ما أرى ؟ قال صدق الحديث وأداء الأمانة وترك ما لا يعنيني .

قال : وعن لقمان أنه قال : ضرب الوالد لولده كالسماد للزرع .

وقال لقمان لابنه : من يقارن قرين السوء لا يسلم منه .

وقال : من لايملك لسانه يندم .

يابني : كن أمينا تكن غنيا ولاتكن خائنا تكن فقيرا ، لأن من خان لاكان . وجالس العلماء وزاحمهم بركبتيك ولا تجادلهم ؛ خذ منهم إذاماأولوك ، والطف بهم في السؤال ولا تضجرهم ، إن تأدبت صغيرا إنتفعت كبيرا ، كن لأصحابك موافقا في غير معصية ، ولاتحقرن من الأمور صغارها فإن الصغار غدا تصير كبارا ، إياك وسوء الخلق والضجر وقلة الصبر ، إن أردت غنى الدنيا فاقطع طمعك مما في أيدي الناس .

وحكمه كثيرة مشهورة . انتهى ما أورده الإمام عالي المقام قدوة الأنام ، النووي في كتابه التهذيب بالأسلوب العجيب والنظم العجيب .

﴿ من وصايا لقمان لإبنه باران ﴾

يابني : كن على حذر من الكريم إذا أهنته ، ومن العاقل إذا أهجيته ، ومن الأحمق إذا مازحته ، ومن الجاهل إذا صاحبته ، ومن الفاجر إذا خاصمته ، وتمام المعروف تعجيله .

يابني : ثلاثة يحسن بالإنسان : حسن المحضر ، واحتمال الإخوان ، وقلة الملل للصدق .

يابني : أول الغضب جنون وآخره ندم .

يابني : ثلاث فيهن الرشد : مشاورة الناصح ، ومدارة العدو والحاسد ، والتحبب لكل أحد .

يابني : المغرور من وثق بثلاثة : الذي يشهد بما لايعلم ، والذي يركن إلى من لا يوثق به ، والذي يطمع فيما لايناله بشيء .

يابني : إحذر من الحسد فإنه يفسد الدين ويضعف النفس ويعقبه الندم .

يابني : إذا خدمت واليا فلا تنم إليه بأحد فإنه لايزيده ذلك منك إلا نفورا ، وإنه إذا سمع منك لابد أن يسمع من غيرك فيك ويكون قلبه خائفا منك أن تنم عليه كما نممت له بغيره ، ولا يزال محترسا منك ، وكن يابني أقرب الناس إليه عند رضاه ، وأبعدهم منه عند غضبه، وإن ائتمنك

فلاتخنه ، وإن أنالك يسيرا فخذه واقبله تنل منه كثيرا ، وأكرم خدمه ، والطف بأصحابه ، وغض طرفك عن محارمه ، واقصر لسانك عند حديثه ، واكتم سره في المجالس ، واتبع باللطف ما يهواه ، وانصح في خدمته ، واجمع عقلك في مخاطبته ، ولاتأمن الدهر من غضبه فإنه ليس بينك وبينه نسب ، وفي كل وقت يسرع إليه الغضب ووثبته كوثبة الأسد إذا وثب .

يابني : إن أردت أن تقف على الحكمة فلاتملك نفسك للنساء ، فإن المرأة حرب ليس فيه سلم ، وهي إن أحبتك أكلتك وإن أبغضتك أهلكتك .

وفي كتاب الشعب للإمام البيهقي كما نقله الدميري في كتابه حياة الحيوان عن الحسن أن لقمان قال لإبنه : يابني : حملت الجندل والحديد وكل حمل ثقيل ، فلم أجد شيئا أثقل من جار السوء ، وذقت المر كله فلم أذق شيئا أمر من الفقر .

يابني : لا تأكل على شبع فإنك إن تلقيه إلى الكلاب خير من أن تأكله .

يابني : إياك والكذب فإنه شهي كلحم العصفور وعما قليل يهلك صاحبه .

وفيه عن الحسن أن لقمان قال لإبنه : يابني : اعلم أنه لايطأ بساطك إلا راغب فيك أو راهب منك ، فأما الراهب الخائف فأمن مجلسه وتهلل في وجهه ، وإياك والغمز من ورائه ، وأما الراغب فيك

فاظهر له البشاشة مع صفاء الباطن له ، وابدأه بالنوال قبل السؤال ، فإنك متى تلجيه إلى السؤال تأخذ من حر وجهه ضعف ما تعطيه . وأنشدوا في هذاالمعنى :

إذا أعطيتني بسؤال وجهي   فقد أعطيتني وأخذت مني

يابني : أبسط حلمك للقريب والبعيد ، وامسك جهلك عن الكريم واللئيم ، وصل أقاربك ، وليكن إخوانك من إذا فارقتهم وفارقوك لم تعبهم ولم يعيبوك .

يابني : لاترسل رسول جاهلا ، فإن لم تجد حكيما فكن رسول نفسك .

يابني : استعن بالكسب الحلال على الفقر فما أحد افتقر إلا أصابته ثلاث خصال : رقة الدين ، وضعف اليقين ، وذهاب المروءة ، وأعظم من هذا كله استخفاف الناس به . انتهى نقله الشيخ عبد الوهاب الشعراني في كتابه تنبيه الغافلين أواخر القرن العاشر .

وروي أن لقمان جالس داود حولا وهو يعمل الدروع ولايعلم لقمان مايصنع له ولايسأله عن ذلك ! فلما تم الحول لبس داود الدرع وقال : درع حصينة ليوم الحرب . وفي رواية بعضهم أن داود لما أتمها لبسها ثم قال : نعم أنت آلة حرب ، فقال لقمان : الصمت حكمة وقليل فاعله . نقله الشيخ أبوبكر بن محمد بن الوليد الفهري في كتابه المسمى (سراج الملوك) .

وفيه قال عروة بن الزبير : مكتوب في حكمة لقمان : يابني لتكن كلمتك طيبة ، وليكن وجهك طلقا، تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم العطاء ، ومن يصحب صاحب سوء لايسلم ، ومن يصحب صاحبا صالحا يغنم .

وفيه قال لقمان لإبنه : ثلاثة أصحبهم : الحليم عند الغضب ، والشجاع عند الحرب ، والأخ عند الحاجة إليه .

وفيه قال ابن لقمان لأبيه : ما الداء العضال ؟ قال : رعونة مولودة ، قال فما الداء ؟ قال : المرأة السوء ، قال : فما الحمل الثقيل ؟ قال : الغضب .

ثم قال صاحب كتاب سراج الملوك لما قرأ هذه الحكمة أبو عباد الكاتب وكان ظريفا في أخباره قال : لكن والله الغضب أخف علي من ريشة ، وكان أسرع الناس غضبا ، فقيل له إنما عني لقمان أن احتمال الغضب ثقيل فقال : و الله لايقوى على احتمال الغضب إلا الجبل .

وقال لقمان لإبنه : يابني : إن الدنيا بحر عميق غرق فيه خلق كثير ، فلتكن سفينتك فيه الإيمان ، وليكن حشوها التقوى ، وليكن شراعها التوكل فعسى أن تنجو ؛ وما أظنك بناج .

وفي تفسير البيضاوي : دثا بن باعورا من أولاد آزر ابن أخت أيوب أوخالته ، وعاش حتى أدرك داود وأخذ عنه العلم ، يعني اللدني ، كان قبل يفتي الناس ، قال : والجمهور على أنه كان حكيما ولم يكن نبيا .

والحكمة في عرف العلماء هي استكمال النفس الإنسانية ، واقتباس العلوم النظرية ، واكتساب المملكة التامة على الأفعال الفاضلة على قدر طاقتها .

ومن حكمته أنه صحب داود شاهورا وكان يصنع الدروع فلم يسأله عنها حتى أتمها ، فلما أتمها لبسها وقال : نعم لبوس الحرب أنت ، فقال لقمان : الصمت حكمة وقليل فاعله .

ومنها أن داود قال له يوما : كيف أصبحت؟ قال: أصبحت في يد غيري .

(فائدة) اسم لقمان أنعم ، وقيل : أشكم ، وقيل : ماتان .

وروي أن لقمان عليه السلام غاب عن أهله ووطنه غيبة بعيدة طويلة ، فلما رجع إلى وطنه لقي إنسانا قبل أن يصل بيته وسأله مافعل أبي : فقال مات ! فقال : وليت أمري ، مافعلت أمي ؟ فقال ماتت ! فقال كفيت همي ، مافعلت أختي ؟ فقال ماتت ، فقال سترت عورتي ، مافعلت زوجتي ؟ فقال ماتت ، فقال تجدد فراشي ، مافعل أخي ؟ فقال مات ، فقال انكسر عضدي ، ما فعل إبني ؟ فقال مات ، فقال انصدع قلبي .

وقال لقمان لإبنه : لاتؤخر التوبة فإن الموت يأتي بغتة ، يابني احتمل الصغير لصغره ، والكبير لقدره ، والجاهل لنقصه، والعالم لفضله ، وإياك وطلب عيوب الناس إن كنت تعلم أنك لا تخلو منها .

وفي كتاب التوبة من الإحياء للإمام حجة الإسلام الغزالي قال : قال لقمان لإبنه : زاحم العلماء بركبتيك ولا تجادلهم فيمقتونك ، وخذ من الدنيا بلاغك ، وأنفق فضول كسبك لآخرتك، ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيالا وعلى ظهور الرجال كلا ، وصم صوما يكسر شهوتك ولاتصم صوما يضر بصلاتك، ولا تجالس السفهاء ولا تخالط ذا الوجهين .

يابني : لاتضحك من غير عجب ، ولا تمشي من غير أرب ، ولا تسأل عما لايعنيك، ولا تضيع مالك وتصلح مال غيرك ؛ فإن مالك ماقدمت ومال غيرك ما تركت .

يابني : من لايرحم لا يرحم ، ومن يصمت يسلم ، ومن يقل الخير يغنم ، ومن يقل الشر يندم ، ومن لا يملك لسانه يعثر .

يابني : لا تحتقرن أحدا إذا رأيته خلق الثياب فإن ربك وربه واحد ، ولاتعظم أحدا لحسن ثيابه فإنها ليست من ذاته وصفاته في شيء .

وقال لإبنه : اخترت من كلام الأنبياء ثمان كلمات : إذاكنت في الصلاة فاحفظ قلبك ، وإذاكنت في بيت الغير فاحفظ عينك، وإذاكنت بين الناس فاحفظ لسانك ، وإذا كنت على المائدة فاحفظ حلقك ، واذكر اثنين وانسى اثنين ؛ فأما اللذان تذكرهما فا الله سبحانه وتعالى والموت ، واما اللذان تنساهما فإحسانك في حق الغير وإساءة الغير في حقك .

يابني : لاترغب في رد الجاهل فيرى أنك ترضى عنه .

يابني : اتق الله ولاتري الناس أنك تخشى ليكرموك بذلك وقلبك فاجر .

يابني : ماندمت على الصمت قط ؛ فإن الكلام إذاكان من فضة كان السكوت من ذهب .

يابني : إعتزل الشر كما يعتزلك فإن الشر للشر خلق .

يابني : يأتي على الناس زمان لاتقر فيه عين حليم .

يابني : اختر المجالس على عينك فإذا رأيت الجلساء يذكرون فيه الله عز وجل فاجلس معهم ، فإنك إن تك عالما ينفعك علمك، وإن تك غبيا يعلموك ، وإن يطلع الله عليهم برحمة تصبك معهم .

يابني : لا تجلس في المجلس الذي لايذكر الله عز وجل فيه ؛ فإن تكن عالما لا ينفعك علمك ، وإن تكن غبيا يزيدوك غباوة ، وإن يطلع الله عليهم بعد ذلك بسخط يصبك معهم .

يابني : كن كمن لا يبتغي محمدة الناس ولايكسب مذمتهم ، فنفسه عنهم في غنى والناس منه في راحة .

يابني : إن الحكمة أجلست المساكين مجالس الملوك .

يابني : لا تتعلم ما لاتعلم حتى تعمل بماتعلم .

يابني : إنك منذ نزلت إلى الدنيا استدبرتها واستقبلت الآخرة ؛ فدار أنت إليها تسير أقرب من دار أنت عنها ترتحل .

يابني : عود لسانك أن يقول : اللهم اغفرلي ، فإن لله ساعات لايرد فيها الدعاء .

يابني : إياك والدين فإنه ذل بالنهار وهم بالليل .

يابني : أرج الله رجاء لا يجرئك على معصية ، وخف الله خوف لايؤيسك من رحمته .

يابني : من كان له من نفسه واعظ كان له من الله عز وجل حافظ ، ومن أنصف الناس من نفسه زاده الله تعالى بذلك عزا ، والذل في طاعة الله أحق من التعزز بالمعصية .

يابني : من كذب ذهب ماء وجهه ، ومن ساء خلقه كثر غمه ، ونقل الصخور من مواضعها أيسر من إفهام من لا يفهم . يابني : لا تكن حلوا فتبلع ، ولا مرا فتلفظ . يابني : أنزل نفسك من صاحبك منزلة من لاحاجة له بك ولا بد لك منه .

يابني : إمتنع بما يخرج من فيك فإنك ما سكت سالم ، وإنما ينبغي لك من القول ما ينفعك .

يابني لا يأكل طعامك إلا الأتقياء ، وشاور في أمرك العلماء .

قال مؤلف هذا الكتاب : العبد الفقير إلى الله : علي بن حسن بن عبد الله بن حسين بن عمر بن عبد الرحمن بن عقيل العطاس بن سالم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الشيخ عبد الرحمن السقاف بن الشيخ مولى الدويلة محمد بن علي بن الشيخ علوي ابن الشيخ الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي ، عفا الله عنه ، هذا آخر ما يسرالله لي جمعه وسهل وضعه من كتاب (مزاج التسنيم وأفواج النسيم بالنعيم من حكم لقمان الحكيم) وقد فصلت عن ذلك في الزمن القديم ، سنة ثمان وخمسين ومائة وألف ، ونية التأليف باقية ، لكن جيوش التكاليف بالتخاليف لم تزل ملاقية ، وعسى الله يسهل كل عسير ، ويتفضل بالإعانة والتيسير ، فإن هذا الفن من بين سائر العلوم كالإكسير ، وهو باب عظيم ، وخطاب جسيم ، أصله من القرءان العظيم ، والآيات والذكر الحكيم ، مما قص الذي قص أحسن القصص الحكيم ، من حكم لقمان الحكيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

تم نقل هذه النسخة من نسخة بقلم المعلم سعيد بن عمر بن فرج بن سباح، تاريخ نساختها : ١٣ من شهر رجب سنة ١٣٣٥ هـ ونسخة ثانية بقلم السيد علوي بن محسن بن حسين بن سالم العطاس ، تاريخها ٢٢ ربيع الأول سنة ١٣٧٧ هـ وتم مراجعة النسختين على النسخة المطبوعة بمصر سنة١٣٨٦ هـ ، وكان الإعتماد في النقل على النسخة التي بقلم المحب بن سباح وتم مراجعة النسخ المخطوطة ومطابقتها على النسخة المطبوعة وتم التعديل وإضافة النقص في النسختين ودمجها مع بعض بعناية راجي عفو الله احمد بن عمر بن أحمد بن عبد الله بن طالب العطاس ،

عفا الله عنه وعن والديه ، وذلك ببلدالأحساء وكان الفراغ من المراجعة ليلة الإثنين ١٤١٨/٦/١٢ هـ ، هذا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمدلله رب العالمين .

أعيدت الطباعة مرة ثانية بالأحساء وكان الفراغ منها صباح الأربعاء ١٤٣٣/١/٥ هـ